

الصين.. الحضور الاستراتيجي

الكاتب



عبدالحسين شعبان

عبد الحسين شعبان

إذا كانت استراتيجية دينج شياوبينج الإصلاحية الذي تولّى القيادة بعد الزعيم التاريخي ماوتسي تونج توصف بالصبر، فإن استراتيجية الرئيس شي جين بينج يمكن اعتبارها استراتيجية حضور، خصوصاً بعد أن خطت الصين خطوات كبرى في تحديث اقتصاداتها وتطوير تكنولوجياتها وروبوتاتها (إنسانها الآلي) في ظلّ الذكاء الاصطناعي

ومنذ أن تولّى الرئيس جين بينج القيادة في العام 2012 سارع إلى تعزيز دور الصين ومكانتها، وذلك بالتوجّه للسيطرة على أراضي في بحر الصين الجنوبي وإنشاء منطقة تعريف في الدفاع الجوي (فوق الأراضي المتنازع عليها في بحر الصين الشرقي)، وتأسيس بنك التنمية الجديد (بنك بريكس) مثلما أقدم على مشروع البنية التحتية الدولي المعروف باسم «مبادرة الحزام والطريق» وأثبت قدرة الصين في ظلّ إدارته على احتواء تفشّي وباء كورونا وذلك بحلول صيف (2020)، حيث استطاعت الصين في ظلّ فضائل التحكّم المركزي من احتواء الانتشار المحلي للوباء، وأصبح نهجها في مكافحة الفيروس مصدر فخر وطني ينظر إليه عالمياً بإعجاب كبير، وقد جرى التعبير عن استراتيجية الحضور هذه (خلال الاحتفالات بمرور 100 عام على تأسيس الحزب الشيوعي الصيني (يوليو/ تموز المنصرم

وقد استند جين بينج إلى تراكم طويل وطائفة من الإصلاحات التدريجية لإعادة بناء الدولة وهيكله اقتصاداتها والتي بدأت في عهد قيادة شياوبينج منذ انتهاء عهد الثورة الثقافية «1965 – 1976» وبداية مرحلة جديدة من الانفتاح منذ نهاية السبعينات وصولاً إلى وضع الصين منافساً للولايات المتحدة. ومن المحتمل أن يتقدّم اقتصادها على اقتصادات العالم العام 2030، وهو ما يسعى إليه

لقد اختار الرئيس جين بينج طريقاً جديداً يحمل درجة عالية من التحديات بعد انقضاء الصبر الاستراتيجي، خصوصاً

وهو يقود مجموعة واسعة من المبادرات السياسية هدفها إعادة تشكيل النظام العالمي بشروط مؤاتية لبكين

ومثل هذه الشروط تُبنى وفقاً لحسابات سواء كانت تطلعات أو مخاوف، ولذلك يراهن القائد الصيني اليوم على الزمن، فقد عزز سلطته بشكل كبير وزعزع الوضع الراهن الدولي بقوة، وهو ينظر إلى موقع الصين خلال العقد وربما العقد ونصف العقد القادم للاستفادة من مجموعة التحوّلات التكنولوجية والجيوسياسية المهمة التي يمكن بواسطتها التغلّب على التحدّيات الداخلية الكبيرة

ويرى جين بينج أن تلاقي التحوّلات الديمغرافية والتباطؤ الاقتصادي الهيكلي والتقدّم السريع في التقنيات الرقمية والتحوّل الملحوظ في ميزان القوى العالمي بعيداً عن الولايات المتحدة يمثل تحدّ ذاته «تغيرات عميقة لم نشهدها منذ قرن» وهذه تتطلب حلولاً جريئة وعاجلة وهنا يكمن حضور الصين

ولهذه الأسباب أدخل جين بينج تعديلات جوهرية على النظام السياسي الصيني لكي تتمكن الصين من منظوره أن تهندس نظاماً سياسياً عالمياً يقوم على التعددية القطبية والمنافسة في التصنيع والتسليح والتكنولوجيا لقدرات البلدان الأكثر تقدماً، كما يعتقد أن الغرب (نفوذاً وقوة) دخل مرحلة التدهور المتسارع خصوصاً بعد فشل الولايات المتحدة في احتلال أفغانستان العام 2001 وانسحابها المشين منه 2021 واحتلال العراق 2003 واضطرابها للانسحاب العام 2011 وتخلخل وجودها الحالي، الذي يمكن وصفه بـ «مستنقعات غير مأمونة» وفي بيئة ليست قابلة لها، يضاف إلى ذلك الأزمة المالية التي ضربتها والعالم الرأسمالي بشكل عام العام 2008، ثم إعلان بريطانيا عن خروجها من بريكست بالتصويت في العام 2016 وإعلان انسحابها النهائي 2020 وانتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة، الأمر الذي أضعف من هيبتها وأنزل من سمعتها في قيادة النظام الدولي الجديد، وهذه تحدّيات كبرى يواجهها الرئيس جو بايدن منذ تسنّمه إدارة البيت الأبيض

وإذا كان ماوتسي تونغ قد بنى الصين وفقاً لنظريته بضرورة توجيه الاقتصاد وتأمين أدوات الإنتاج، وكبح جماح القطاع الخاص وفقاً للعقيدة الأيديولوجية ونظام الولاء والطاعة الحزبية وعلى أساس الأمن القومي، فإن ذلك العهد لم يعد قائماً، بما عليه من مأسٍ وما له من إيجابيات، ولذلك فإن استمرار جين بينج مطالبة الكوادر الحزبية بالالتزام بالعقيدة الأيديولوجية وإبداء الولاء الشخصي له يعني تقويض مرونة نظام الحكم وكفاءته، بل إنه سيؤدي إلى جعل «الذئب المحارب» أكثر عزلة بدلاً من الانفتاح، كما إنه سيقلص من البدائل ويضعف النقد، خصوصاً بعد إلغاء القيود المفروضة على فترة الرئاسة واحتمال استمراره بالحكم إلى أجل غير مسمى والسؤال الأخير من سيخلف جين بينج وكيف سيحكم؟

drhussainshaban21@gmail.com